

اليوسفيات
(وقصائد أخرى)

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الإلكتروني

unecriv@net.sy
E-mail: aru@net.sy

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت
<http://www.awu.sy>

الإخراج الفني وفاء الساطي

يوسف حطيطي

اليوسفيات

(وقصائد أخرى)

سلسلة الشعر (5)

2020

منشورات اتحاد الكتاب العرب

دمشق

اليوسفيات

-1

وسميتني يوسفأ يا أبي
وما كنت تدري
بأن النبوءة تكسرُ ظهري
تراني سأمكثُ في الجب - وا غربتاه -
بقية عمري؟!

-2

لأنك سميتني يوسفأ
فر من ليلي النجم
جافاني الحلمُ

يا أبتى ، كيف أعددتني للكناية
في زمن يرتدي الشعر فيه ثياب الضجر؟
وكيف ألون تلك السماء
أبي ..

لا الكواكب تعرفني ، لا القمر
ولا الشمس تسجد لي في المنام
عليه السلام
وأما أنا فعلي رحي الحرب
تطحن عظمي
وسيف الردى والظلام

-3

وقيل له : لا تقص عليهم رؤاك
يكيدوا لك الكيد
أما أنا ..
فما كنت أجرؤ حتى على الحلم

حتى على الهمهماتِ
وفي رُوحِ القيدِ
والجبُّ صمتٌ ثقيلٌ

-4

أخافُ، حبيبةَ عمري، سيّارةً أن تمرَّ
أخافُ تهيلُ الترابِ عليّ
وها أنا أهربُ مني إليكِ
وأهربُ منكِ إليّ
خيالكِ يملؤني يا "سرايا"⁽¹⁾
برائحة المريميّة

⁽¹⁾ سرايا بنت الغول أسطورة تحكي حكاية فتاة فلسطينية، مشهورة بطول شعرها الذي لم يمسه مقص، خطفها الغول وأسكنها قصره العالي، وحين ذهب ابن عمها لبيحث عنها في البراري، كان ينادي: "يا سرايا، يا بنت الغول، دلي لي شعرك لأطول" فسمعتة فدلّت له جديلةً، فتسلّقها وصعد إلى القصر، وعاد بابنة عمه إلى القرية.

بين حقول الجليل
وحاولتُ ألا أحبك
حاولتُ ألا أحبك
حاولتُ ..
لكنني في الغيبة
ما زلتُ أنتظر المستحيل

-5-

فدلي إليَّ جدائلك المسدلات ..
لكي أتسلق
حتى أرى نورَ وجهك ..
حتى أدرس المخدر في (كاسة) الغول ..
دلي إليَّ الجداول
فالغول والذئب ليسا بريئين من دمنا
والمنون
كؤوس تعدّ على مهلٍ

والحديثُ شجون:
إخوتي يفعلونَ ما يؤمرون

- 6

وحاولتُ ألا أحبِّك
لكنَّ طيفك ما زالَ يملأُ قلبي
برائحة المريميه
تعالِي "سرايا"
لكي تسكري الروحَ
من خمرة الأبيديه
ودلِّي إليَّ جدائلك المُسدلاتِ
لكي (أتمشق) نحوكِ
فالبئر صمتٌ ثقيلٌ
وإني أحبِّكِ
أيتها المجدليه

7.

ووالله يا أبتى
ما حلمت بليلة صيف
ولا مرّ طيف
فكيف أحدثّهم عن نجومٍ وشمسٍ
وعن أغنيات السمرّ؟
وكيف أحدثّهم عن سجود القمر؟
وما كنت فيهم..
وما كنت فيهم..
ولكنّهم جلسوا حول طاولةٍ مستديرة
وجاءت ذئاب،
وجاءت كلاب،
تحاصر صمت الحظيرة
وتعطي أوامرًا للعشير: -
لكم كلُّ بطش الجيوش

ودفءُ العروشِ
وملءُ الكروشِ
- وماذا علينا؟
- ضَعُوا يوسفاً داخلَ الجُبِّ كي يستريحَ
أخرجوا أرضَ كنعانَ من قلبه
واجعلوا قلبه قبضَ ريح
وانثروا زهرةَ الوقتِ فوقَ الضريحِ
- 8 -

وما كنتَ فيهم،
وقد مالت الشمسُ نحوَ المغيبِ
وراحت تهبُّ نسائمٌ مثقلةٌ بالنعيبِ
كأنَّ البرودةَ تشحذُ ذاكرتي
في الظلامِ
كأنَّهم الآنَ في ظلمةِ الجُبِّ
قد حاصروني
وراحوا يعيدونَ قِيءَ الكلامِ:

- دع الأمر، يوسف، وانس الغرام
لك الآن من الدراهم والأمنيات الجميله
وأحلى نساء القبيله
- وماذا سأنسى؟

ستنسى المثلث والقدس والمريمه
ودالية عرّشت في الخليل
وتنسى بأن دمائك تنبض
في جسد امرأة في الجليل
وتنسى أباك

فتنجو.. ويغدو جناحك
خارج هذي الشباك

9

وأنت الذي قلت لي: لا تصالح
وأنت الذي شئتني أن أكون
كظل الغمام
وحد الحسام

كأنَّ جروحكَ كانتَ معي
يومَ واجهتهمُ في ابتسامٍ :
فلو زرعوا الوردَ في وجنتي
ولو وضعوا الشمسَ بينَ يدي
ولو زينوا قمراً حالمًا كالبريقِ
ولو سدوا عنقي حجراً في الطريقِ
ولو ذبحوني
أو قيدوني فلستُ أبالي
وأنتَ ببالي
قصيدةَ عشقٍ أثيره
وحبي بقلبي سيبقى على كلِّ حالٍ
لتلك الأسيـره
ولو زادَ ظلمُ العشيره
وهاهم أولاءُ ، يشدونَّ حولي الوثاقُ
أراهم ، وهم يرجعونَ إليكَ
وإذ يذرفونَ دموعَ النفاقِ

وأهاتهم تسبقُ الخطواتُ
وأنتَ تزلزلُ خيبتهم في ثباتِ
وتخبرهم أنني لم أمت
وأنني ما زلت حياً وحيّاً
وأنك مثلي تحبُّ الحياةَ

.10

سحائبُ صدرك تهطلُ عطراً
لتسقي قبرَ الشهيد
وعيناك زيتونتان
وضوءُ جبينك
ترنيمَةٌ للصباحِ الجديدِ
وفي شفّتكِ نشيدُ الطلّى
واشتهاءُ الندى
وابتسامُ الوليدِ
وأما صريعُك في العشقِ

يوسفُ، كاتبُ هذي الجراحِ
فليس كصاحبهِ
في اجتذابِ الملاحِ
وقد كان يعلمُ
أنَّ الندوبَ تغضنُ وجهاً
وتُبلي شفاها
وأنَّ حروقَ المساجدِ في وجهه
لحظةَ العشقِ تحتَ الرمادِ
يشبُّ لظاها
وأنَّ الرؤى ليس من حقّه أن يراها
فيصنعُ رؤياه من نفسه،
ويثيرُ الخيالَ
وفي حلقةِ الظلماتِ
يطالعُ وجهَ المُحالِ
ويبحثُ عن دفاءِ نارِ

-11-

رأى، فيما يرى الحالمون،
نساءً يُحِطْنَ بِهِ كَالسَّوَارِ
مدافئِ
رائحةِ الكستناءِ
سكاكينِ تلمعُ
فاكهةً في الصحونِ..
وغدرَ انتظارِ
وكنتِ تلوزينِ آهٍ "سرايا" بظلِّ الجدارِ
بغيرِ دثارِ

-12-

أنا كنتُ ذاكُ
وكنتِ هناكُ
ولم أدري كيفَ اختفى فجأةً

كلُّ ذاكَ الهديلِ
وأين؟
وقفنَ ورحنَ يقطَّعنَ لحمي بأيديهنَّ
ويكسرنَ عظمي
يقيدنَ مني اليدينَّ..
وما زلتُ أذكرُ صمتاً
سرى بعدَ ذاكَ الرحيلِ
وما زلتُ أذكرُ وجهاً
تجلَّى كوجهِ المسيحِ
وما زلتُ أذكرُ فوقَ الثرى دمعتينِ

-13

وقد مرَّ بي قومٌ على البئرِ غدوةً
وكانت جِراحِي تملأُ البرَّ والبحرا
وقد بعثوا عبداً ليرسل دلوهم
وحين أتاني الحبلُ أمسكته فوراً

ولما أحسَّ الثقلَ في الحبلِ فجأه
سرى صوتُه الجذلانُ للقومِ : يا بشرى
وإذ عرفوا في البئرِ صوتي غادروا
وإن يستطيعوا أفرغوا فوقه قطراً
ولكنَّ ضوءاً في الضلوعِ أضاءها
يقولُ : سيأتي النصرُ بالفتكةِ الكبرى

-14-

وها قد مضت سبعةٌ ثم ستونَ عاماً
وما زلتُ أحملُ حلماً
وخبزاً وخبيزةً في الضلوعِ
وما زلتُ أشعلُ في عتمةِ الجبِّ
قافلةً من شموعِ
قميصي الذي قد من قبلِ
ثم من دبرِ
ثم من كلِّ صوبِ

أراه يُرفرفُ حولَ المكانِ
أراه يُمدُّ على الأفقِ
جسراً من الأرجوانِ
يمرُّ على ديرِ ياسينِ،
يسمعُ نوحَ الحمائمِ
يمرُّ على كفرِ قاسمِ
عجوزاً تهدهدهُ همهماتُ الأنينِ
ليغرسَ سنبلَةً في جنينِ
ويطردَ ليلَ الحُلُكِ
تقولُ له سِدْرَةُ المنتهى: هيتَ لكِ
فيلقي بعكَّازِهِ
ثم يرجعُ عالي الجبينِ

-15-

وما زالَ طيفُكِ
أمنيةً في سماءِ الهديلِ

يزورُ اغترابي
وينشدُ في دمي الغضَّ
أنشودةَ المستحيلِ
وينمو على ظلِّ بابي
تعالِي "سرايا"
وكوني حضوراً شهياً
كَلِيلِ العَبَقِ
أبي ما يزالُ أسيرَ الحكايا
يعيشُ ضريراً
خذي شتلةً من حبقٍ
وألقي بها فوقَ عَيْنينِ مبيضتينِ
فيأتي بصيراً
تعالِي "سرايا"
فما زال في فِضَّةِ الرُّوحِ
نَسغُ الدَّماءِ

تعالِي "سَرَايَا"
فبَثْرِي مَعْطَلَةٌ
وَحَضْرُوكِ خَيْلٌ وَوَرْدٌ وَمَاءٌ

-16-

أَبِي.. لَسْتُ أَحْلَمُ
لَا.. لَسْتُ أَحْلَمُ
هَذِي "سَرَايَا" حَبِيبَةٌ رُوحِي
وِظَلِّ جُرُوحِي
تَمَدُّ ضَفَائِرُهَا الْمُثْقَلَاتِ بِجُزْنِ النَّدَى
تَقُولُ، وَفِي ظُلْمَةِ السَّرِّ أَيْضًا،
يَنَادِي الصَّدَى:
تَعَالِ حَبِيبِي إِلَيَّ..
ضَفَائِرُهَا الْآنَ بَيْنَ يَدَيَّ
وَأَصْعَدُ..
رَأْسِي يَدُورُ
وَحَلْمٌ بَطْعَمِ الْعِنَاقِ يَمُورُ

وأصعدُ ..
أصعدُ ..
أصعدُ
يا أبتى ..
في نهاية هذا الصعودِ
أرى وهجَ نورٍ



جِنَازَةُ أُمِّي (1)

(1)

لِكُمْ دِينُكُمْ،
فَاحْتَمُوا، مِثْلَمَا يَرِغِبُ الْمُعْتَدِي،
مِنْ غُبَارِ الْحَنِينِ
وَإِنْ خِفْتُمْ الْجَمْرَ، يَا سَادَتِي،
فَامسَحُوا صُورَةَ الذِّكْرِيَّاتِ الْحَزِينَةِ
مِنْ دَفْتَرِ الْآخِرِينَ

(1) غادرتنا أمي عشية الذكرى الخامسة والستين لنكبة فلسطين، وكان القلب لم تكن تكفيه نكبة واحدة.

وقولوا:
وُلِدْنَا بِلا جَمْرَةٍ تَلْسَعُ الرُّوحَ
لا غَزَّةً تُجْرِحُ القَلْبَ
لا نَدْبَةً حَفَرَتْ جَرَحَهَا
مِثْلَ مَذْبَحَةٍ فِي جَنِينٍ
وَأَمَّا أَنَا فِسَأَرْقِصُ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ،
كَمَا وَلَدَتْنِي الحِكَايَةُ
فِي عَتَمَاتِ السِّنِّينِ
سَأَرْقِصُ، يَا سَادَتِي،
عَارِيًّا مِنْ ذُيُولِ الهَزِيمَةِ
لا خَفَقَةَ القَلْبِ تَسْتُرُ عَرِييَ
وَلَا شَهْوَةَ الارْتِبَاكِ الحَزِينِ
لَكُمْ دِينَكُمْ
فَاتْرَكُوا عُشْبَةَ المَرِيْمِيَّةِ

في كأسِ قلبي
وانصرفوا خاسئين

(2)

تشاغبني ذكرياتٌ تجلّتْ
غسيلاً على جبلٍ أغنيةٍ راعفه
تشاغبني سكرةُ الشعرِ
في خاطرِ الحلمِ مبجوحةً نازفه
يشاغبني صوتُ أمي
التي بلسمتْ جرحَ قلبي
بأغنيةِ العاصفه
وأجلتْ رماداً تجمع
عن سهوة الصمتِ
هشتْ غبارَ الرؤى الزاحفه

فيا "أمّ كاید"
كيف تركتِ القصائدَ أرملةً
في الطّريقِ على حينِ حربٍ ضروسٍ؟
وكيف انتقلتِ إلى غُربةِ القبرِ
من غُربةِ الرُّوحِ دونَ شُموسٍ
وأنتِ التي في الدِّيارِ الغريبةِ
أشعلتِ عتمةَ عمري
وسبعةَ أقبيةٍ كانَ أطفالُها القهْرُ
كيف ذهبتِ إلى عَدَمٍ ضالِعٍ في الغيابِ
كأنك لم تحلمي
مثلما قلتِ لي ذاتَ حُزنٍ
بأن تزرعي شُرُفاتِ المخيمِّ بالياسمينِ

وتمضي إلى ظلِّ تلك البحيرة⁽¹⁾
مجبولةً بالحنين
أهان عليك المخيم
كي تجعل الموت أرجوزة التائهيين؟

(3)

تراك سئمت من الشعر
يحملُ غربتنا؟
هل سئمت القوافي؟
تزوجت منفيةً من فتى
كان يحملُ غربته فوق ظهر المخيم
زوادةً للتجافي
وأنجبتما زعتراً وانتماءً

⁽¹⁾ بحيرة طبريا.

وعائلةٌ لا تُذوّبُ سُكَّانَهَا
في رَمالِ المنافي
بروحكِ تلكَ البحيرةِ،
ما أطيبَ الماءَ والسَّهْلَ
والجرمقَ المتوضّئَ بالشُّوقِ
والجمرةَ العاشِقةَ⁽¹⁾
لماذا إذاً تتركينَ الحديقةَ
من غيرِ شمسٍ
ومن للقصيدَةِ، بعدكِ،
يضفرُ خُصَلَتَها المارقةَ
وهل كانَ لا بدَّ من عَصْفِ موتٍ؟
ليكتملَ النَّزْفُ؟

⁽¹⁾ الإحالة واضحة هنا إلى قول الصّمة القشيري: بروحيَ تلكَ الأرضَ،
ما أطيبَ الرّبيّ!

هل كان لا بد أن ترحلي
كي يكون المشرّد قبرا بلا شاهده؟
أما كان يمكن أن تترث فاتحة الموت
يومين كي ينكأ المشرّد جرحاً
جديداً لهجرتنا الشارده
أما كان يكفي فؤادي
مذبحة واحدة؟

(4)

سئمت من النفي
يا ننع الشاي
يا وردة المزهريه
يا ظبية الشعر تختال بين الخلائق
طقوس الجنازة منفيّة

مثل حزن المخيم
قال المقاتل ؛
إذ كان يحمي المخيم من أهله :
"لن تمرأ"
ومسد لحيته ، كي يفتش سيارة
ليس فيها سوى دمع أختي
وصبر أخي
والشهيدة تنزف غربتها
في دخان الحرائق
أهان صدى الدمع
وألقى شتائمها ،
ثم مسد لحيته من جديد ،
ومرت جنازتها مثل سوسنة
في ازدحام البنادق

أما كان صمتُ المخيمِ فاجعةً
في غيابِ الذين يريدون
أن يرشفوا من وداعكِ
نخبَ النشيدِ الأخيرِ؟
كأنك لم تُشعلي بالزَّغاريدِ دِفءَ مظاهرةٍ
لم ترشي الأرزَّ
ولم تنثري الملحَ من شُرْفَةِ البيتِ
فوقِ الجِنازاتِ
وهي تمرُّ على الأفقِ مرَّ السَّحابِ
كأنك لم تزرعي الآسَ
فوقِ قبورِ الصَّحابِ
كأنك لم تحلّفي أن يكونَ المخيمُ جسراً
لنعبُرَ فوقَ العذابِ

(5)

كبرتُ كثيراً
وزادَ البياضُ بشعري كثيراً
وفاضتُ بنزفِ حروفي كلَّ الدفاترِ
وربيتُ، في غمراتِ الحياةِ وليدينِ
ربيتُ بنتين أيضاً
وكانَ الحصادُ
سنابلَ تشبهُ مرجَ ابنِ عامرٍ
وزوجتُ في زمهريرِ النوى ولداً
أسرعتُ للزواجِ خطاهُ
وسوفَ أزوجُ عما قليلٍ أخاهُ
وقد كنتُ أرغبُ يا "أمَّ كاید"
أنْ تشهدِي العرسَ
أنْ تسحجي، أنْ تُغني

وَأَنْ تَقِفِي قَرَبَ أُمِّ الْعَرِيسِ
بِحَسَبِ الْأَصُولِ
وَلَكِنْ أَيْدِي الرَّدَى حِينَ تَمْتَدُّ
تَبْقَى ..
وَنَحْنُ نَزُولُ

(6)

نَعَمْ.. يَا حَشِيشَةَ قَلْبِي
نَحْنُ بَحِيرٌ، فَلَا تَجْزَعِي
رَبِّمَا نَالْنَا تَعَبٌ مِنْ غَبَارِ الطَّرِيقِ
وَلَكِنَّا نَسْتَحِمُّ، كَمَا تَعْلَمِينَ،
بِوَجْدِ ابْتِهَالَاتِكَ الطَّاهِرَةِ
وَنُحْمِلُ شَوْقَ الْعَيُونِ الْحَزِينَةِ
لِلْقُدْسِ وَالنَّاصِرَةِ
أَنَا يَوْسُفَ الطِّفْلِ، وَالْوَلَدَانَ
وَأُمَّ الْعِيَالِ،
وَبِنْتَايَا أُمَّنَا الرَّاحِلَةَ

جميعاً جميعاً
حفظنا شذا المريمية
في رثة العائله
وذاك الحفيد الذي سوف يأتي
سيصرخ،
ثم يبول على "صفقة القرن"،
من قبل أن تذهب القابله
ويرقص من غير خوف،
كما ولدته الحكاية في عتمات السنين
ويعلن في أوجه العاجزين:
لكم دينكم
فاتركوا عشبة المريمية
في كأس قلبي
وانصرفوا خاسئين



ساعةُ أبي (1)

كلُّ صباحٍ
أتهجأُ ذاكَ الحُلْمَ الهاجعَ في أجفانِ أبي
كطيوفٍ ورديهِ
أتأملُ ساعتهُ المخبوءةَ في زمنِ الحسرةِ
وهي تثرثرُ في أعماقِ الدرَجِ الداكنِ
صفحةَ عمرٍ من ذاكرةٍ منسيهِ
تلكَ عقاربها تلسعُ قلبَ النسيانِ
بجمرِ القصصِ المحكيهِ

(1) فتحتُ أحدَ الأدراجِ ، وهناك رأيت ساعةَ أبي .. فكانت هذه القصيدة.

إذ كان أبي في زمنِ القهوةِ
حبةً هالٍ ذوبها دفءُ فلسطينِ
بفنجانٍ من عشقِ أميهِ
توقظه ساعتهُ في الفجرِ،
يصلِّي للرزاقِ، يتمتمُ أدعيةً،
يضطجعُ على وجعِ الأمسِ
وبعضِ الأحلامِ
توقظُ أمي (بابور الكاز) النائمةَ
في حضنِ الأيامِ
تشعلُ صبحَ أبي بالدفءِ
ليشربَ قهوتهُ
ويدفئُ يده الحشناءَ على عجلٍ
من ثلجِ الشَّامِ

(2)

كانَ أبي يتنقلُ مثلَ كتابِ شقاءِ
يَني قصرًا لا يسكنهُ
مدرسةً لا يتعلَّمُ فيها درسَ الإملاءِ
ساعتهُ في الورشةِ تدعوهُ
لكي يشربَ كأسَ الشايِ الساخنِ
في العاشرةِ صباحاً
أو ينصتَ لأذانَ الظهرِ القادمِ،
فيما بعدُ، منَ الأجواءِ
تدعوهُ الساعةُ لغداءِ ملكيُّ
في الورشةِ
حينَ يكونُ البيتُ بعيداً
يكشفُ سرَّ "سفرِ طاس"
يفتحه ليُطلَّ رغيْفٌ،

قطعةُ جبنٍ،

زيتونٌ،

وبقايا أكلِ الأمسِ

قد يهربُ في صيفِ الورشةِ

من حرِّ الشمسِ

تعزفُ ساعتهُ الصفراءُ

قبيلَ الليلِ

نشيدَ الآهِ بلا وترِ

تحملهُ ليضيءَ البيتَ

بعرسِ الخبزِ المنتظرِ

يتعشى وجمعاً.. عكوباً..

وشرائحَ ليمونِ

تفردُها أمي فوقَ الخبيزةِ

تغلي شايًا بالنعناعِ

لكي يجلو ظلُّ السهرِ

لكنَّ عيوناً مغلقةً تُحزنها
يحزنها أن تُرجعَ كلَّ مساءٍ
كأسَ الشَّايِ الباردِ مَلاًنا
أما عيناه المطفأتان
فبينهما سرٌّ مغلِقُ
قد يسرعُ نحوَ الحُلْمِ إلى الجَرْمَقِ
قد يسرحُ في ذاكرةِ الدَّمْعَةِ أحياناً
قد تأخذهُ الغفوةُ
في غيْمَةٍ حلْمٍ وارفةٍ
ورديه
قد يُصبحُ، في غفوتِهِ، شَطَّاً
لبحيرةِ طَبْرِيهِ
يحدوه الأملُ النَّازِفُ في تعبٍ وسقامٍ
تطردنا أمي كي تحرسَ تلكَ الغفوةَ
وينامُ

(3)

يذكره اليرموكُ
فكلُّ مدارسِهِ تتذكَّرُ ذاكَ المِعماريَّ
الطاعنَ في التعبِ
ذاكَ البناءَ العاشقَ
تذكره مدرسة القسطل والمنصورة،
رأس العين، ومدرسة النقبِ
كنت أشمُّ مجدران القسطلِ
عرقاً يشبه ملح الأرضِ النازفِ
ذاكَ أبي
قد يترك ورشته
كي يركضَ للبيتِ إذا داهمه حدسٌ
أو ناداه الشوقُ لأحدِ الأبناءِ
قد يتركها.. دونَ النظرِ إلى السَّاعةِ

حينَ تمرُّ جنازاتُ الشهداءِ
يذكره الحجرُ الأسودُ
ساعته تنزفُ سأمًا في الستينِ
حينَ فتيلُ الهمةِ يخبو
يفتح دكانًا في الحارةِ،
ليست دكانًا
بل ثمة جدرانُ حنينٍ
تحتزنُ الدَّفءَ

وحلوى الأطفالِ
وتمسحُ حزنَ الجيرانِ بِبسمتهِ
فيضيءُ جبينُ
ويمرُّ الوجعُ القاهرُ
يطفو فوقَ سماءِ العمرِ
كبقعةِ زيتٍ
يمنعه المرضُ اللاهثُ

أن يخرجَ للشَّارِعِ
حين تطلُّ الأعوامُ الغرقى في ساعته
لا تنفعُ "ليت"
تخبرني السَّاعةُ أنَّ عيونَ الرَّحمةِ
تكلؤه في البيتِ
أمي ترقدُ قربَ سريرِ الخوفِ ؛
لترفوا ما مزقه ليلُ الأيامِ الصَّعبه
أختي تُسندُه بيديها ،
يشرقُ بالدمعةِ ، وأنا يذبحني
سيفُ الغربه
وأخي يُخبرني بعدَ صقيعِ البينِ :
تعال
ذهبَ الغالي في رقدتهِ الأبديةِ
وانتحبَ الموالُ

(4)

لو أَعْرَفُ أَيَّتَهَا السَّاعَةُ
أَيَّ زَمَانٍ تَنْتَظِرِينَ ؛
لَأَدْفِنُ حَزَنًا
يَتَنَزَلُ مِثْلَ غَبَارِ الدَّهْرِ
عَلَى عَسَلِ الذِّكْرِ
لو أَعْرَفُ كَيْفَ أُزِيلُ صَقِيْعَ الْمَآثِمِ
عَنْ فَرْحِ الْبَشْرِ

(5)

مَا زِلْتُ أَحْتُ خُطَا قَلْبِي
نَحْوَ الْمَجْهُولِ
فَتَدْعُونِي تِلْكَ السَّاعَةُ
فِي زَمَنِ الرَّدِّ
أَنْ أَحْمِلَهَا عَلََّ الْمَاضِي

ينجزُ وعدَه
هي في شغفٍ
تلمس نبضَ عروقي هاتفةً :
لا توقف زمنَ الآباءِ الحالمِ
واسقِ الوردَه
ساعتهُ ، وهي تعانقُ نبضي ،
تحملني في ثقةٍ
نحو الأطيافِ الورديةِ
تأخذني في غيمةِ حلمٍ وارفةٍ
كي أصبحَ شطاً لبحيرةِ طبريةِ



امراة من المخبم

هي امراة تذرّف السنواٲ على وجهها
روحها..

روحها لم تزل منذ نكبٲها
ترسم الشاطئين..

ونكبٲها تستريح كذكرى قصيده
على بحر عكا

هو الطائر الزاجل المتمرس
خلف الحدود الكئيبة ينعى بريده
هناك ينام الحمام على وردتين

هنا أو هناك يغني الشهيد
هنا أو هناك يغني الشريد
تغني الشريده
وتصحو على دمعين
هي امرأة تدخل الآن فصل التذكر
قعقة في المخيم..
ذكرى ورجع بعيد..
فلو أمهل الباحثون عن الدم أشجارها..
لأنعش عرق من الآس ذاكرة الغافلين
ولو أمهل الوالغون بدم المخيم
بنتاً لتحفظ طعام الحليب..
ولو أمهل الحالمون بحورية الغيم
دالية في مهب الحنين
روحها.. نزت حكمة

تستحمّ بدمع المخيمّ:
لكنّ دهري عنيد..
وراحت تمسّح ملحاً
نما فوق جرح حزين

* * *

هي امرأةٌ تعجنُ بالقهرِ
تسأمُ من بحثها المستمرِّ
عن الخبزِ والماءِ والذكرياتِ..
ومن عاشَ ستينَ حولاً غريباً شريداً
سيسأّمُ عدّ المجازرِ والأمنياتِ
تسائلُ أعوامها: كيفَ أدفعُ فاتورةَ الماءِ
والماءُ ملحٌ أجاجٌ؟
وكيفَ سأدفعُ فاتورةَ الكهرباءِ
لقنّ الدجاجِ..؟

وكيف سأدفعُ فاتورةَ الدّمِّ؟؟
والدمعُ في المقلتينِ
هوَ القهرُ..
أهلكني مرتينِ..
وعذبني مرتينِ..
وشردني مرتينِ..
وأخبرني أن هذا المخيم ذكرى وطن..
لماذا تغني الرصاصات
أغنية الموتِ في جسدي الآنَ
باسم الركوعِ وباسم السجودِ
وتحمل موتاً رخيصاً..
وتلقيه نحو الجنودِ
هي الحربُ..
لا ماءً.. لا خبزاً..

لا صمتَ ..
لا صوتَ إلا عواءَ حزينٍ ..
هي الريحُ تلقي السَّلامَ على الميتينِ ..

* * *

هي امرأةٌ لم تمتَ فجأةً ..
لم تُصِبْ قلبها نوبةً ..
لم تقل آه ..
قال طائرُها
جدتي البكرُ كانت تحضّرُ بقجتها
لتفتشَ عن خيمةٍ ..
غيمةٍ .. أو رغيفٍ
ولكنه الموتُ في كلِّ زاويةٍ
من زوايا المخيمِ ..
أجلها ساعةٌ ساعتينِ

وألقى بها فوق جمر الرّصيف

* * *

فيا جدّة المتدثر بالغيمة والياسمين

يا امرأة تحمل بقجتها..

دمها.. عطر قهوتها

لا تبالي..

فخيمتك الآن جاهزة

في الأعالي..

ولا فرق.. لا فرق..

ما بين قبر ومنفى..

* * *

هي امرأة تذرّف السنوات

على روحها دمعها..

روحها لم تزل ترسم الشاطئين..
والطائر الزاجل الآن يلقي نشيده
وقلب المخيم يحلم
أن يحمل الفجر لامرأة
وردتين



قيامَةُ اليرموك

1 - الأسود

هكذا كنا

نرشُّ الملحَ ذاكرةً من الشُّرفَاتِ
نمسحُ دَمعةً حرّى بأطيافِ الزَّغاريدِ
الَّتِي انطلقتْ منَ الأسوارِ
هكذا.. كنا نودّعُ غصنَ زيتونٍ

إلى مثوى قيامتهِ

ونرثي صورةً مزروعةً كالنَّجمةِ الثكلى
على حُزنِ الجدارِ

هكذا كنا
نعضُّ على جراح الإخوة الأعداءِ
ننسى طعنةَ المقتولِ للمقتولِ
في وضحِ النهارِ
هكذا نمحو خطايانا
ونرتقُ جوربَ التقسيمِ
بين القطّةِ الكسلى
وفأرِ الحقلِ..
كي نخفي الكآبةَ عن جفونِ الجلنارِ
هكذا كنا
نرى اليرموك في دمناء..
فلسطيناً صغيره
نجمع الدمعاتِ من حرّى مآقي الأمهاتِ
ومن شوارعِهِ حجارةَ عودةٍ

كي نرَقَعِ الآمالَ في ثوبِ المسيره
هكذا كُنَّا وعشنا:
"ناوليني يا صفيّه
كاسة الشّاي
ولا تنسي عروق الميرميّه"
لم نكن نرضى بأن نغدو
شراعاً في اغتراب السّندباد
هكذا عشنا زماناً
قبل أن تُطوى أغانينا
برايات السّواد

* * * * *

2 - الأحمر

هكذا صيرنا
كما يتحدث الغرباء عن دمننا
بلا ثمنٍ نموتُ على الرّصيفِ
ونشتري حلمَ الرّغيفِ
بطلقةِ الموتِ الزّوَامِ
نحتسي من ذلك الوجعِ
المكدّسِ في العظامِ

يا أبي
لا دفءَ يسترُ عريننا
إلا جراحُ نازفه
لا ماءَ غيرِ الدّمعِ
يلمعُ في العيونِ الخائفه
لا أكلَ إلا ما ذرته الرّيحُ

بعد العاصفه
صرنا سبايا المرعب المسكون
في تكبيره الاحرام
لا .. لا بسمه سمحاء..
لا بشرى تزين وجهه
أضحى يعلقنا على أسوار قلعتنا
خفافيش الظلام

يا أبي
أبواب إخوتي الكبار تغلقت
كل الحدود تغلقت
في وجه يوسفك الجميل
ما ثم غير البحر
مفتوحاً على شذقيه يبلعنا
ويرسل حلمنا للمستحيل
ويعيد تشكيل الخريطة بين دمعتنا

وأحزان الهديلُ
هكذا خُضنا عُبَابَ الغرْبَةِ النِّكرَاءِ يا أبتي
تركنا خُلفنا صُوراً على الجدرانِ
دمعاً ترتوي منه عروقُ الآسِ
صرنا يا أبي
نقتاتُ في ذاك الصقيعِ اللقمةَ الحمراءِ
نبحثُ عن بقايانا
ويهزُّنا بياضُ الثلجِ
يا لتعاسة الشهداءِ
حين يلقنا وطنٌ بديلُ
يا قلبُ هل في شارعِ اليرموكِ ،
متسعٌ لتنمو في عيونِ البركةِ الحمراءِ
أعتابُ الخليلُ؟؟

* * * * *

3 - الأخضر

هكذا نبقى
زهوراً هزها نرق الحياة فأينعت :
رجلاً يخفُّ إلى المخيم من جديد
يحتمي بالبيت من ريح تدنس عريه
طفلاً يمدُّ إلى تراب الحارة الثكلى أصابعه
ليعزف ألف عيد
يرتمي في حضن والدته
تعيش كزهرة الصبار كي ترقى
إلى حلم بعيد
هكذا نرفو شواطئ حلمنا
نرسو على ميناء حاضرننا
لكي نبني بيوتاً هددها زمن العبيد
هكذا نروي عروق الآس

كي يحنو الترابُ على الشهيدِ
ونجوبُ ساحاتِ المخيمِ كي نرى
ظلَّ التحسّرِ في دموعِ الغائبينِ
نصنعُ من أغانيهم لحافاً
حنطةً

لهباً

وشالاً

كي ينامَ الليلُ في دمهم
ويصحو نحو حاراتِ المخيمِ
في المدى صوتُ الحنينِ
هكذا عدنا نرشُ الماءَ
كي نسقي ابتهالاتِ العصافيرِ الصغيرةِ
في المدارسِ
نشعلُ الجمراتِ في نرجيلةٍ نامتُ
على كتفِ الجدارِ
وغادرتُ مقهى فلسطينِ

الحكاياتُ التي انطفأتُ كأمنيةٍ بعيدةٍ
هكذا عدنا
لتملاً شارعَ اليرموكِ في رمضانَ
ضحكاتُ الصبايا..
فرحةُ الأطفالِ .. أغنيةٌ فريدهُ
قالها يوماً أبو الإسكندرِ
المزروعِ في ساحتها
عذب الصدى
نشتهي من دفتهِ عقبَ الفلافلِ
قبلَ أن نمضي إلى غدنا
ونحملَ ظلنا صوبَ المدى
هكذا نبقى
ونبني ما تهدمُ
فوق أنقاضِ المخيمِ
نملاً الساحاتِ بالأعلامِ ثانيةً
ونكسو جامعَ القدسِ الرحيبِ

بدعوة المظلوم والمنفي
كي يشعر أنا
قاب قوسين وأدنى
هكذا نرمح في وجه الزمان
كل شيء في رؤى اليرموك
يغدو عندما نبني رسولاً
وجهه ظل حصان
يحمل الأغصان خضراً
ثم يمضي
نحو شمس
أشرقت
في عسقلان

* * * * *

4 - الأبيض

أبيض مثلُ القصيدةِ في كتابِ الماءِ
أحفظه كفاتحةِ الكتابِ
أبيضُ كالماءِ لا فردوسه حلمٌ
ولا أنهاره قصصُ السرابِ
هكذا سنكونُ بشري في بياضِ الثلجِ
بعد الهائلِ المسفوكِ من دمنا
على دربِ العذابِ
هكذا للقدسِ نرنو من هنا
أو من هنالك..
بعدهما أدمتُ حناجرنا
سفرجلةُ الغيابِ
كلُّ فجرٍ سوفَ نجلو
عن عيونِ الليلِ
أغنيةَ الظلامِ

سوف نشدو في ندى "الله أكبر"
سورة نرسلها من مسجد القدس
إلى نصرٍ يجبئه الغمام
وسندرو في بياض الفجر
أوتاد الخيام
شرفتي كانت.. وما زالت
وتبقى قبلة الزيتون
والدّلى
وأصداء الكلام
شرفتي الشكلى تُغني للسلام
وتعدّ النار إيداناً
بشمسٍ تحملُ البشرى
إلى برج الحمام
شرفتي تغفو على حلم الحناجر
وهي تصرخ من بعيد:

يا شهيد
نم قليلاً ..
نحن أهلٌ للذمام
شرفتي تحمي جناح القبره
والشهيد الساهر المطعون
يأبى أن ينام
في ظلام المقبره
أخبروه يا رفاق الدم والأوجاع
والحزن الجميل
أننا نبني ونشعل أضلعاً حرى
ولا يخبو الفتيل
أخبروه أننا من شارع اليرموك
نمضي نحو ذاك الأبيض الفجري
في طهر الحقول
أخبروه أننا لن نخذل البرقوق

في دمِهِ
ولا حزنَ النخيلِ
أخبروهُ أننا
- من أجل أن يغفو قليلاً -
سوف نرمي ما تبقى من ذمّاءِ الرّوحِ
كي نسعى إلى حضنِ الجليلِ.



قصيدةُ العطر

"إلى جان باتيست غرونوي⁽¹⁾"

-1-

لعلّك يا صاحبي ما انتبهتَ
إلى وخزِ رائحةٍ عابره
لعلّك في رعشةِ الموتِ
غادرتَ دون اكتراثٍ
إلى ضفّةِ الآخره

⁽¹⁾ جان باتيست غرونوي : بطل رواية "العطر" التي كتبها الألماني باتريك زوسكند، نفذ جرائم قتل متتالية ضدّ أجمل فتيات مدينة غراس؛ حتى يستخلص من أجسادهنّ أكثر العطور الطبيعية كملاً.

لعلك لم تتبه في ازدحام الجياع
إلى وهج جرح ينز برائحة النفي
في عتمة سادره
أنا ذلك الجرح يا صاحبي
إذ ولدت هناك
بعيداً على شاطئ القهر
طفلاً تعذبه طعنة غائره
وما كان لي مثل كل الديوك،
وكل البراغيث، كل الطيور
وكل النباتات
أن أتسم رائحة الفجر
في بلدتي الطاهره
ولا أن أشم شوارع يافا
وكرمل حيفا

ولا شهقة الشمع في الناصره
فقد شردتني المراكب
في غربة العمر
أعمى أصم وأبكم
حتى أعيش بلا ذاكره

-2-

خشيتُ الطفولة،
كان حليبُ الإعاشة
يملاً أنفي بذاكرة الدُّلِّ
أذكرُ نوحَ البواكي عليَّ
كأن رياحَ النوى هبتِ البارحة
على مثلِ تلكِ الطفولة،
يا جانُ،

تنتحبُ النَّاحَهَ
تفرستُ ضوعَ الهَبَاءِ
أشمُ خَلايَايَ
أرعِبنِي أنْ أعيشَ بلا رَائِحَهَ
أنا الولدُ المتجذِرُ في عينِ مَاهِلٍ
كَيْفَ أعيشُ بلا عَبَقِ الِيبِلَسَانِ؟
وهل نَزَعُوا مِن دمي نَرَجِسَ الرَّامِ
كَيْلَا تَمَرَّ عَلَى خَاطِرِي عَسْقَلَانُ؟
كَأَنِّي بَقَايَا دَخَانٍ...
أَتذَكُرُ يَا صَاحِبِي
حِينَ جَاءَكَ أَخوتُكَ "الطَّيِّبُونَ"
لَكِي يَكْتُمُوا العِطْرَ فَيْكَ
لَكِي يَسْرِقُوا فَضَّةَ الضَّوِّ
مِنْ زُرْقَةِ الكَهْرَمَانِ؟

أما زلتَ تذكرُ رائحةَ الغيظِ
بينَ أصابعِهِم يا صديق؟
أنا لم أزلُ أتَشقُّ أصواتَهُم
حينَ دَسُوا الحديعةَ
في كأسِ يعقوبَ
عاريةً من ظلالِ البريقِ
وظلَّت روائحُ ذِيالكِ الجُبِّ
تنخزُ رُوحِي
ولكنني ما ضللتُ الطَّرِيقَ

3-

توضأتُ إثرَ المكيدةِ من ماءِ عكا
لجأتُ لذكرىِ المغارةِ في بيتِ لحمٍ
تنشقتُ رائحةَ الغارِ في التَّيِّهِ

سبع سنين
لكي أجمعَ العطرَ من غفوةِ الحالمينِ
وأختصرَ الرَّاحَ في خمرةٍ
جمعتها شفاهُ الأنينِ
مزجتُ أريجَ دمِ الشَّهداءِ
برائحةِ الأرضِ
ثم دلفتُ إلى لوتسٍ قد تناثرَ
من روحِ جديِّ
وحممتُ أيامه البائساتِ
بعطرِ الخزامى
وثمة خبيزةٍ في ضلوعِ اليتامى
أضفتُ لها سوسناً
كي أقاربَ رائحةِ العشقِ
في شجرِ السَّنديانِ

وجمعت ضوع البنفسج
في نكهة الزعفران
ولم أنس نفحة صفصافة
نسيت ظلها في اغتراب المكان

4

لدي إذا في دمي
وطن من عبير
يُطلُّ على سهوة الريح
من غيمة جارحه
وما زلت أبحث
في جسدٍ أنهكته العواصفُ
عن حزنٍ نايٍ يُغني لرائحة الحزنِ
في دمعتي المالحه

تناسخ

إذا .. سأطيرُ نحوَ نهايتي يوماً
وهذي النفسُ سوفَ تزيحُ
ما أحسسته وهماً
وفي نزعِ قميصِ الروحِ
سوفَ يغادرُ الجسمَ
وقلبي الموجهُ الكلومُ
سوفَ يعانقُ الحلمَ
إذا سأطيرُ نحوَ الضفةِ الأخرى
أرى حولي ملائكةً

بأجنحةٍ أثيريه^٥
أعاتبهم:
أنا لم أحتفل يوماً
بفجرٍ مقدسيّ الروح
في أفراحٍ أمسيه^٥
ولم أحضنُ ترابَ الحقلِ
لم أرسمُ على الجدرانِ في عكا
صبا امرأةٍ جليليه^٥
ولم أعثرُ على طفلٍ
بعمرِ الوردِ يشبهني
ليشعلُ ظلمةَ المنفى
حكاياتٍ خرافيّه^٥
ولم أرضعُ حليبَ القمحِ
في أحضانِ غزيّه^٥

أما من مهلةٍ كي أسقي الأزهارَ
في حلمي
لعلِّي أوقظُ الأوراقَ
في رؤيا خريفيةٍ

* * *

أرى حولي ملائكةً
بأجنحةٍ أثيرةٍ
وما في النفس
غيرُ ظلالٍ أمنيّةٍ
ولكنَّ الردىَّ المفتوحَ باباً ليس يُمهّلها
ويُغلقُ دونها الرجعى إلى دنيا تُحاولُها
وتهفونحو كرمها.. فلا ترقى
وتغفو في بحيرتها.. فلا تُسقى
وما في الأفقِ غير الكوة البيضاءِ

تُحجِبُ سَوْءَهَا عَنْهَا،
فَتَشْبَعُ ذَاتَهَا لَوْماً،
وَلَا يَبْقَى
سِوَى ظِلٍّ يُطْمِئِنُّهَا
وَصَوْتٍ يَمَلَأُ الدُّنْيَا:
تَعَالَى.. وَارْجِعِي نَحْوِي
وَتُؤَيِّي.. وَادْخُلِي الْفِرْدَوْسَ
حَيْثُ النَّفْسُ لَا تَشْقَى
- أَمَا مِنْ لِحْظَةٍ أُخْرَى؟
أَمَا مِنْ طَرْفَةٍ كِي يَنْظُرُ الْمَنْفِيُّ لِلْوَطَنِ؟
أَمَا تَسْتَأْخِرُ النَّفْسُ الَّتِي وُلِدَتْ مَعَ الْكَفَنِ؟

إذاً ..
سأُملِّمُ الأشواكَ من دربي
وأجعلُ هجعةَ الماضينَ
رابيةً من العُشبِ
وأزرعُ قصةَ التاريخِ في روحي
وأنزِعُ فضةَ النسيانِ من قلبي
ولكنَّ المدىَ المَجْبُولَ في حلكِ يحاصرني
سوادِ كلِّ ما حولي
ونفسي في دُجى الظلمِ
وهذا القبرِ يرفعني إلى العدمِ
وفوق القبرِ لا عشبٌ ولا ماءٌ
فلا هندٌ تغازلني
ولا تأتي لتزرعَ وردةً في القحطِ
نَجلاءُ

أعيشُ هنا بلا نبضٍ
رأيتُ القلبَ
عصفوراً من الشَّجَنِ
غذاهُ صوتُ فيروزِ
وحملهُ أغاني الرِّيحِ للفنِّ

فغادرني

بعيداً عن ترابِ الدُّودِ والعفنِ

وهامَ على سجيتهِ

يقبلُ زهرةَ التفاحِ..

شهدَ اللوزِ في سفحِ جليلي[ؑ]

وينهلُ خمرةَ الأُغابِ

في كرمِ خليلي[ؑ]

يُناجي جدَّةَ الزيتونِ

يمضي نحوها خمصاً

ويغدو طاعماً نشواناً
كي يلقي تحيته على الأقصى
ويرسم آخر الخفقات أغنية
ويملاً صوته حرصاً:
هنا سأموت .. لا مثوي
سوى الأرض التي أهوى
ترابي، رغم برد النفي والتهجير،
رغم القتل والتدمير،
يبقى عشقي الأقوى
وقدسي جنة المأوى

_ وفيضُ الروح؟
أين نأى عن الجسدِ
الذي أضناه منفاه؟
_ سمعتُ حكايةً عجباً
هنالك في أقاصي الكرملِ المبحوحِ

ثمَّ غزّالةٌ تسعى إليه
تباركُ اللهُ
تحوكُ الشعرَ أُرديّةً
كأنَّ الشّاعِرَ المَجنونَ يُمليها على غدِه
فتغدو ظلَّ منفاه
كأنَّ الحُزنَ في دمها خطاياهُ
وما نَزفُ الهوى المذبوحِ في العينينِ إلهُ
هناكَ غزّالةٌ تَكلي
تُحدّثنا عن الماضي الذي عاشتُ حكاياهُ
عن الأطفالِ قبلَ أوانهم كبروا
عن الشّهداءِ
حينَ مَخيمِ اليرموكِ يدفّنها
فيطلعُ حولهم شجرُ
وتعشقُ مثلَ شاعرِنا زهورَ الأرضِ
حينَ يرشّها المطرُ

وتبهجها بنفسجة
ويحزنها قطار
هذه السفر

عزيزي القارئ المنفي
إن شاهدت عصفورا
يلم الحزن من أطراف وادينا
وإن أبصرت ظل غزالة بيضاء
تسرح في بوادينا
فخذ من شعري الغافي
بنفسجة من الأحزان
وضعها وسط مقبرة
على قبر بلا عنوان



حاشية على كذبة نيسان؟!!

(1)

كذبتنا علينا
افترينا على نورس العشق
عاماً فعاماً
هنياً لنا عيدُ نيسان
نحمله فوق حقدِ الصدورِ
وسأما
جديرون نحن به
كم رسمنا بحبرِ النفاقِ غمماً

لتحبل أرضُ العُروبةِ مِن حُلْمِنَا
عزّةً وخُزَامِي
كذَبْنَا عَلَيْنَا
وكنَّا حكايةَ برقٍ بلا مَطَرٍ
فاستحالَ الخَصِيبُ القَشِيبُ
لَدَيْنَا ضِرَامَا

(2)

خَدَعْنَا بَرَاءَةَ أَطْفَالِنَا
إِذْ تَرَكْنَا بِيَاضَ اليَقِينِ
وَحِينَ زَعَمْنَا لَهُمْ أَنَّ ثَلْجَ الشَّمَالِ
أَشَدُّ بِيَاضًا مِنَ اليَاسْمِينِ
فِيَا لِيَتَّهُمَ يَكشِفُونَ الحَدِيدَةَ
قَبْلَ الغَرَقِ

ويا ليتهم يكبرون
على شفة الشمس أغنيةً
قبل أن يسرق الحلم
ذئبُ الغسق

(3)

خدعنا مخادع زوجاتنا
حين كنا نرش عطور الأمانى
على غيرهن
ونشعل نزوة أعمارنا
في انتظار لهيب
سينشب من بعدهن
ونبحث عن نحلة العهر
نجري وراء سراب الرحيق

وَنُلْقِي بِنَا فِي أُتُونِ الْحَرِيقِ
نَفْتَسُ مِثْلَ الْمَجَانِينِ
عَنْ بَسْمَةٍ عَبَّرَتْ
فِي غُبَارِ الطَّرِيقِ

(4)

رَكَبْنَا قَطَارَ الْغَرِيبِ
دَعَوْنَاهُ لِلنَّخْبِ
فَوْقَ احْتِضَارِ الرِّفَاقِ
وَتَحْتَ ظِلَالِ نَخِيلِ الْعِرَاقِ
كَذَبْنَا عَلَى يَاسَمِينَ دَمَشَقَ
وَقَلْنَا: نَعِيدُ الرَّبِيعِ
عَلَى فَرَسٍ مِنْ نِفَاقِ
كَذَبْنَا عَلَى غَزَّةِ

ورقصنا

على وجع امرأةٍ في جنينٍ
كذبنا على وطنٍ
يتلوى وراء سياج الحنين
ورحنا نلققُ

من حطب العجزِ جمراً
وصرنا نبدلُ بالبندقيةِ بحراً
ونغزلُ من دفتر الإفكِ شعراً
ونرجو لقاء الأُحبةِ
كالعاشقين الكُسالى
نعيدُ اجتراح البطولةِ
عاصفةً من حروفٍ
بوجه السنينِ
ونهتفُ في آخر الكأسِ :

تَحِيَا فِلَسْطِينُ

تَحِيَا فِلَسْطِينُ

(5)

كَذَبْنَا عَلَى لُغَةِ الضَّادِ

حِينَ رَأَيْنَا خَرِيفَ الْبِلَادِ رِبِيْعًا

كَذَبْنَا عَلَى اللَّهِ

حِينَ قَتَلْنَا غُلَامًا

وَكِهْلًا وَطِفْلًا رَضِيْعًا

خَدَعْنَا الْمَآذِنَ

حِينَ جَعَلْنَا اخْضِرَارَ التَّسَابِيْحِ أَحْمَرًا

دَخَلْنَا الْكِنَائِسَ نَهْتَفُ:

اللَّهُ أَكْبَرُ

وَنَتْرِكُ خَلْفَ صَدَى صَوْتِنَا

صفصفاً وخواءً مُريعا

(6)

كذَبْنَا عَلَى الشَّمْسِ
وَالنَّجْمِ وَالغَيْمِ
وَالفَجْرِ وَالظُّهْرِ وَالعَصْرِ
وَالنَّهْرِ وَالطَّيْرِ
(.....)

وما زالَ في الأفقِ
طيفٌ مُسِيلِمَةٌ يَسْتَعِدُّ
لتخضُرٍ أَوْهَامُنَا،
ليسَ غَيْرُ



على سفرٍ

1- يوم للسماء:

غيمتي تصعدُ الآنَ فوقَ الغيومِ
تسافرُ صوبَ الكواكبِ
ترسلُ قبيلتها الواعدهُ
فتبعثُ في الأرضِ حزناً
بعرضِ المدى الأرحبِ
ولكنَّ تلكَ السماءَ السعيدةَ
تلبسُ زينتها جاهدهُ
تسورُ فرحتها بالنجومِ
تمدُّ لساناً شقياً وتهزأُ بي

وتضحكُ ضحكةً قلبٍ صبي
أما كان يكفي حنينُ الضلوعِ
لكي تسمعي القلبَ يصرخُ:
لا تذهبي؟

2- يومٌ للعناق:

تمدين شوقاً ذراعيكِ
للأهلِ والأمكنه
تضمين للقلبِ باباً..
جداراً.. ونحلةً شوق
تمرّ صباحاً على سوسنهِ
وعصفورِ ذكري تسلقَ شباكِ قلبكِ
كي يسكنه
تمدين شوقاً ذراعيكِ للمستحيلِ
ليركضَ نحوكِ من فرحِ "الولدنه"

ذراعاكِ دَفءُ جناحينِ
يستجمعانِ حنانَ الكمانِ
على شفةِ الأزمنةِ
فهل نسيًا حينَ ذابَ الجمالُ
على شمعِ صدرِ
تجاسرتُ أن أحضنه؟
وهل نسيًا، في لهيبِ عناقِ الأحبةِ،
يا حلوتي، زمنَ الشيطنة؟

3- يوم للحديقة:

يحيطُ بكِ الأخضرُ
المتعريشُ فوقَ جدارِ المكانِ
تروحين حينًا
كظلِّ يخطُّ حكايةَ حبٍّ
على وجعِ السنديانِ

تجيينَ .. تمشينَ
أو تجلسينَ على مقعدِ الخيزرانِ
تضيئينَ بالأزرقِ المتدفقِ
جسراً أطلَّ قصيدةَ عشقٍ
ترتلُ عذبَ البيانِ
وأنتِ هناكِ .. وقلبي هنا
أو هناكِ
يطاردُ وعداً بوهمِ لقاءِ الحديقةِ
هل تذكرينَ؟؟
وهل سيعود الزمانُ؟

4- يومٌ للقدر:

ولا بدَّ من سفرٍ
يشطرُ القلبَ، قلبكِ، بينَ الأنينِ
وبينَ الحنينِ

ولا بدّ من مطرٍ
يجعلُ الروحَ، روحك، نَهراً
يحنُّ إلى موئلِ الأرزِ والياسمينِ
ولا بدّ من بشرٍ
يملؤون فراغَ الحكايةِ
بالذكرياتِ التي أصبحت كاليقينِ
ولا بدّ من سقَرٍ
في ضلوعِ فتى
حبه مثلما تعلمين
ولا بدّ من قدرٍ،
مثلما قلتِ - سيّدةِ النأيِ -
يفضني إلى أمنياتِ الدروبِ
وشهدِ المشاويرِ
رغمَ انقضاءِ السنينِ
وإن كانَ لا بدّ أيضاً

فلا بد من عمرٍ
يفرح القلب..
ينصفني من حبيبٍ ضنينٍ
ويمنح ما تمنعني

5- يومٌ للبحر:

تشدُّك ليلي إلى القلبِ شوقاً
تصيرين موجةً بحرٍ
تحنُّ إلى غمرةٍ من يديها
تُصلِّين خاشعةً لطيورِ الحنينِ
ترفُّ على مقلتيها
أحقاً هي البحرُ
كيف إذا تذهبين إليه؟
وتنسين أملك في دفترِ الشعرِ
كي تدر في الحرف طهراً

على قدميه
وكيف إذا تذهبين إليه؟
وفي البال وعد بأن نتمشي
على شاطئ الرمل
نهذي قليلاً
ويحكي عنق أصابعنا
ما لديه!!

6- يوم للغيوم:

قرأتُ غيومَ الأصيلِ
تبوحُ بأسرارها
رأيتُ اصفرارَ الغروبِ
يغني ويصبعُ في حذرٍ
ذيلَ آثارها
تهجأتُ في حزنها

فرحة الأرض
تقضي لذاذات أوطارها
ولكن أرضي يا غيمتي البكر
ترنو إليك
وتشكو انكسارات أزهارها
فعودي إليها
ولو قطرة من وصال
تزلزل صحراء صدري..
وتوقظ في جثتي
روح إعصارها

7- يوم للقهوة:

أنا لم أنم
كي أرى زائر الحلم
يطوي المسافات

بين المنافي وبين البلاد
ولكنني قد رأيت
بعين التمني
وما ثم معجزة
فالليالي تحبُّ جمرتها
تحت صمت الرماد
وكنت أرى حلوتي
تحتسي قهوة الخصب
في حضن أحبابها المتعبين
وتزرع نور المحبة في كل واد
وها أنا ذا أبحث الآن في قهوتي
ثم أصرخ:
"بانت سعاد!!!"

8 - يوم للقمر:

على تلةٍ من نريف الجنوب.. هنا تسهرين
تضيئين ليلك من قمر
يجعلُ المجدَ ظلًا لذاكرة المتعبين
وكوبٌ من الشاي يملأ صدرك بالشوق
جمعٌ من الأقباء يغنون كي ينسجوا
من عيون المدى عودة للزمان الجميل
عشقتك يا قمرًا يستضيء به
ليلٌ حيفا ويافا وليلُ الخليل
يُطلُّ على وجعي هائمًا
يا ترى..

بعد يومين؟ شهرين؟ دهرين؟
نرجع.. نرقص.. نسهر
نشرب كوبًا من الشاي
في دفءِ حضنِ الجليل؟

9 - يومٌ للجبل:

كما وقعُ أغنيةً
يَسْتَظِلُّ بِدَفءِ الصَّدى المرِّ
تستدفئُنينَ بِمِضْنِ أَيْبِكِ
وتُلقينَ تلكَ الضَّفيرةَ في فرحٍ
فوقَ كَتْفِ حزينٍ
هوَ الجبلُ المتربُّعُ فوقَ المدى الحرِّ
يشربُ صبرَ النوى والأنينِ
غداً سوفَ ينخلعُ القلبُ من صدرِهِ
عندما تذهبينِ
أنا أعرفُ القهرَ
عائنتُ حزنَ الجبالِ العنيدةِ
حينَ تغادرُها طيرُها في ظلامِ السنينِ
سلينيَ عن جبلٍ حينَ ودعتهُ

حِينَ عَشَّشَ فِي الرُّوحِ نَزْفِي
سَلِينِي عَنِ جَبَلٍ حِينَ عَانَقْتُهُ
قَبْلَ عَقْدِ وَنَصْفِ
لِيَمْضِي ، فِي عَجَلٍ ، لِقَرَارَةٍ حَتْفِ
سَلِينِي عَنِ جَبَلِ النَّارِ
حِينَ خَلَعْتُ عَلَيْهِ الْأَمَانِيَّ
قَبْلَ عَقُودِ كَثِيرِهِ
لَكَ اللهُ !!
أَيْنَ سَتُلْقِينَ فِي الْغَدِ
تِلْكَ الضَّفِيرَةَ؟؟

10 - يوم للعودة:

سَأَحْلِقُ ذَقْنِي..
أَرشٌ كَثِيرًا مِنَ الْعِطْرِ

أحتفلُ اليومَ بالعودةِ المشتهاةِ
مغمسةً بلظى حُرقةٍ وانتظارٍ
وسوف أمشطُ شعري
وأعرفُ أن أصابعكِ المثقلاتِ بشوقِ الفراقِ
ستلهو به لحظةً
قبلَ أن تترمي في ضلوعي
حكايةً نورٍ ونارٍ
إذاً

سوف أذهبُ في لهفةٍ للمطارِ
لأستقبل الضحكةَ الصافيةَ
وأرنو إلى عسلٍ يتدفقُ
من طرفِ الخايبه
ولكنني فجأةً
في ارتباكِ السرورِ

ترددتُ في لحظةٍ وانكسرتُ
على دمةٍ غافيةٍ
أنا لستُ أنسى..
ولكنني قد نسيتُ بأننا افترقنا
وأنا غريبين كُنا
وأنَّ هناك حبيباً
سيفرحُ، بالرغمِ عني،
ويأكلُ من عنبِ الداليةِ



بوحِ دَفلى

"أَنْتِ هُنَا؟"
قَلتُ فِي وَلِهِ
بَعْدَ حُلْمينِ
يَكْتَنفانِ حَياتِي مِثْلَ الصَّدَى؟
أَيْمَكُنْ لِي أَنْ أَصَدِّقَ
أَنَّ البَلابِلَ كَسَّرَتِ الحَدَّ
بَيْنَ الحَدِيقَةِ وَالسَّورِ
هَلْ جِئْتِ مِنْ عَطْشِي

كي أطلَّ على الفجرِ من لهفةِ النايِ
نحو المدى؟
وكيف دلفتِ من الحُلْمِ نحوي؟
أجاءت يداكِ
لكي تمسحاً عن جبينِ الصباحِ
احتضارَ الندى؟
وكيف وصلتِ برغمِ العساكرِ
والذكرياتِ العنيدة؟
وكيف تجاوزتِ برقاً ورعداً
وليلاً ومنفىً وذكرى قصيده؟

لكِ اللهُ سيِّدةَ الوردِ
حينَ تفتِّحتِ في غرفتي
بوحِ دِفلى..

لقد كنتَ حلماً..
وما أجملَ الحلمَ حينَ تجلّى
وحينَ على شجرٍ من حنينٍ تدلّى
وحينَ طلعتِ على لهفةِ البابِ ظلّاً
فأشرقَ فجر الأمانى الشريدَه
وكم قد فتحتُ لكِ البابَ قبلاً!!
وكم خابَ ظنّي!!
وكم كنتِ أبعدَ من قطرةٍ
في سماءِ التمنيّ!!
وكم كانَ حلمك فيما مضى محضٌ وهمٍ
وكم كانَ برقك لا مطرٌ بعدهُ
أو ربيعٌ!!
ولكنّكِ الآنَ قُربي
وبينَ يديّ

برغمِ ذهولِ الجميعِ
فماذا يهمُّ إذا كنتِ لي من جديدٍ؟
سأسألُ عينيكِ عن تربةِ الحقلِ
عن عسلِ النحلِ
عن دمعةٍ هجعتُ في جفونِ الشهيدِ
وقد رددتُ صوتهَ هدهداتِ الحناجرِ
"سأحملُ روعي..."
أتذكرُ عيناكِ حقاً حكايةَ شاعرٍ⁽¹⁾؟
لماذا تطلّينَ من شغفي فجأةً
مثلَ قافيةٍ من عتبِ
سنابلِ شعركِ غائبةٌ لا أراها؛

⁽¹⁾ هو الشاعر عبد الرحيم محمود الذي استشهد في معركة الشجرة 1948 ،
وقد اشتهر له البيتان التاليان : سأحمل روعي على راحتتي... وألقي بها
في مهاوي الردى // فأما حياةُ تسرُّ الصديق.. وإما مات يغيبُ العدا

ولكنها من ذهبُ
وأحدسُ تحتَ الحجابِ نجومًا
وأحدسُ تحتَ الثيابِ لهبُ
تعالِي لكي نشعلَ النارَ
يا حلوتي في المنافي..
عليكِ سلامُ القوافي
ولي وعليّ الضنى والتعبُ
وجمعُ الخطبُ

_ "سأذهبُ"، قلتِ،
وما كنتُ مقتنعا بعدُ إنِّي رأيتُك
حتى أضاءَ الحلكُ
وأنتِ التي فجرُ عينيكِ
يهتفُ بي: هيتَ لكُ

_ "سأمشي.."
إذا كنتَ ترغُبُ بي فافعلِ المستحيلَ"
_ أتمشينَ حقاً؟
وكيفَ سأنسى على شفتيكِ كرومَ الخليلِ؟
ووجهاً يخبئُ حقلًا من القمحِ
يحرسه من خطي ذئبةٌ جائعه؟
وكيفَ سأنسى ظلالَ ابتسامتكِ الوادعه؟
يمامةٌ
لا تذهبي الآن.. أحتاجُ دفأكِ
ذوبي بصدري
وكوني لشعري مدادا
وكوني لصدري امتدادا
_ ألمَ ترَ أنني لبستُ السوادا؟
_ سأعطيكِ عمري.
_ "أتعرفُ مهري:

هناك على شاطئ المتوسطِ
حوريةٌ لا تنامُ
وزوجاً حمامٍ
يعيشان في قفصٍ من ضرامٍ
وسورٍ ومئذنةٍ من سخامٍ
هناك أنا بانتظارك
حين البنادقُ تصحو
وحين ينامُ الكلامُ

مضت نحو ليلٍ بعيدٍ
وقالت سلاماً.

.....

فقلتُ: عليك السلامُ



خُطوطُ يَدِي

- سيدي..

هاتِ كَفَّكَ

_ ما لي يدان..

وقد ضحكت ضحكتين:

_ سيدي لست أرجو الكثير الذي لا يطاقُ

عشرة..

خمسة..

درهمين..

أمسكتُ لي يدي:

- لا تخف سيدي

كان نهرُ ابتسامتها أخضرَ القلبِ
مستتراً مثلَ حزنٍ دفينٍ
كالمضيقِ سرِّ وراءِ ابتسامتها:
قلتُ : ما تشعرين؟؟
حدّقي ، يا ابنتي ، في خطوطِ اليقينِ..
هل ترين سوى ظلِّ حيفا؟
سوى نزعِ مجزرة؟
والخيوول التي تطأ الياسمين؟
هل ترين سوى دمِ أهلي يُراق؟
سوى صورةِ المحنِ...
إنَّ يدي وطني

* * *

وضعت يدها في يدي
فاض نهرُ ابتسامتها في بياضِ اللّجينِ..

وعضت على عندم الشفتين..
ثم قالت : أبي.. يا أبي
إن نهر دمي المتدفق أيضاً.. يراق
ولكن فجراً جديداً يطلُّ
أبي.. يا أبي..
إن في كلِّ قيدٍ ظلالَ انعتاقٍ

* * *

وإذ لوحت.. مثل شمسِ الغروبِ،
رجعتُ أسيرُ على شاطئِ البحرِ
مزدحماً بالرفاقِ
وقد كنتُ أستمُّ في طيفِها
حزنَ نخلِ العراقِ



في انتظار ضفائرها

وفيما يرى الحالمون اليتامى
رأيتُ بلاداً من الميرميةِ
تمتدُّ من حلمي المستحيلِ
إلى نبضِ سنبلَةٍ في الجليلِ
أمام عيوني تمتدُّ خضراءَ خضراءَ
أمشي فتمشي المسافاتُ
تمشي القلوبُ الشريدةُ
والأمهاتُ الثكالى
وتمشي معي غزّةٌ والخليلُ

فجأةً ..

في اخضرار المدى
رنّ رجعُ الصدى
تلفتُ من وجع السحر

من وجع الوهم
نحو اليقين
تلفتُ ..

لا شيء إلا قفصُ
كأنّ فؤادي رقصُ
تحرّيت ما فيه ..
حزنٌ ثقيلُ

وعينان ترتسمان على ظلّ هذا السهاد ..
تذكرت زيتونة في بلادي ...
رأيت الغزاة ..

ظلَّ الغزاةُ..
بين الجراح وبين الضمادِ
سمعتُ صدى صوتها:
كان عذباً ينادي
"يما مويل الهوى.. يما مواليا"
ضرب الخناجر ولا حكم النذل فيا"
صداها الحزين يرجعه النهرُ
يحكي أنينه..
فمن للحقول البعيدة
من للعيون الحزينه
مشيت إليها..
مشى قلبي المرتعدُ
مشى النهرُ والكائناتُ
ودمعُ اليتامى

مشى جبل النار
لكنها تبتعد

* * *

ذهبتُ لأَسألَ عِرافَةَ النهرِ
عن نصفِ قرنٍ
من الأُمْنِياتِ العِجافِ
وضعتُ على رأسها وردةً
من عيبرِ الفِصُولِ، فقالتُ:
ستركضُ سبعاً
وتحلمُ سبعاً
لتحظى بماءِ البحيرةِ
تروي الغزاةَ من مائها الحُرِّ
تطردُ ظلَّ الجفافِ
وتدهنُ سرتها بالبنفسجِ

تزرعُ قُبْلَتِكَ الحالمهٗ
على ثغرِ وردتِكَ النائمهٗ
وبعدئذٍ سيحينُ القطافُ

* * *

وفيما يرى الحالمون اليتامى
رأيتُ بنفسجةً في الجليلِ
رأيتُ ضفائرها الحائرات
تزور بريدي صباحاً
وتمضي.. إلى حلمٍ غارقٍ في الهديلِ..



عَلَى فَرَسٍ مِنْ كَلَامٍ

- 1

بِرِّقَةٍ أُنْثَى
تَغَادِرُ بَرَجَ الْحَمَامِ
نَاتٌ قَبْلَ عَامٍ
وَحِيداً، أَلُوبٌ، كَظَلُّ بَلَا جَسَدٍ
فِي الزَّحَامِ
وَلَا هَمْسَ يَلْدَعُ هَذَا الْخَوَاءَ
بِعِطْرِ الْهَيَّامِ

-2

أَكَانَتْ هُنَا قَبْلَ عَامٍ؟
أَكَانَ الْبَنْفَسَجُ يُجَنِّي النَّدَى عَنِ يَدَيَّ؟
أَذَابَتْ عَلَيَّ شَفْتِيَّ
عَنَاقِيدَ مِنْ لَهَبٍ وَاضْطِرَامٍ؟
وَهَلْ كَانَ رَأْسِي عَلَيَّ مُخْمَلِ الصَّدْرِ
يَبْحَثُ عَنِ وَطَنِ لِيَنَامَ؟
لِمَاذَا إِذَا هَاجَرَتْ أُمْسِيَاتُ الْغَرَامِ؟

-3

أَمَا كَانَ يَكْفِي فُؤَادِي مَنْفَى وَحِيدٌ
لِيَكْتُبَ مَاءَ الْحَيَاةِ بِحُزْنِ الْقَوَافِي
وَهَلْ كَانَ لَا بُدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ الْحُلْمُ قَهْرًا
وَيُسَلِّمَنِي لِلْمَنَافِي

أَمَا كَانَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَعِيشَ زَمَانَ التَّوْحِيدِ
مَنَا وَسَلَوَى
وَشَهَدًا هِنِيًّا وَنَجْوَى؟
وَيَمْشِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ
يَحْكِي لَفِيضِ يَدَيْهَا عَنِ الطُّهْرِ
فِي شَارِدَاتِ الْغَمَامِ؟
وَأَنْ يُعِدَّ الْأَسَّ عَنْ خَجَلِ الْكَسْتَنَاءِ
وَيَجْلُو بِيَاضَ الرُّخَامِ؟
أَمَا كَانَ مِنْ حَقِّهِ
أَنْ يَمُوتَ عَلَى مَا يُرَامُ؟

-4

وَحِيدًا أُصَارِعُ ذِكْرِي تُدَاهِمُنِي
فِي الْمَنَامِ:

أَكُنْتُ هُنَا قَبْلَ عَامٍ؟
كَمَا دُونِكِشَوْتِ
أُحَارِبُ خِيَةَ قَلْبِي
عَلَى فَرَسٍ مِنْ كَلَامِ
أُقَاتِلُ غُرْبَةً رُوْحِي بِنَزْفِ الْكِتَابِ
وَلَا سَيْفَ عِنْدِي
وَلَا عِطْرَ إِلَّا عَيْبِ الصَّبَابِ
لِمَاذَا إِذَا تَشْتَكِي وَرَدَّ الرُّوحَ صَمْتِي؟
وَقَدْ بَحَّ صَوْتِي
وَلَا هَمْسَةَ مِنْ لَدُنْكَ
وَلَا هَاتِفٌ يَطْمَئِنُّ عَلَيَّ خَفَقَ قَلْبِي
أَلَسْتُ الَّتِي اقْتَلَعْتُ عُشْبَ دَرِّي
بِعَصْفِ الْمَلَامِ؟
أَلَسْتُ الَّتِي كَبَلْتُ بِالْكَلامِ الطَّرِيقَ؟

فَكَيْفَ سَاعَرَجُ نَحْوَ الْمَدَى هَارِباً
مِنْ تَوْهَجِ ذَاكَ الْحَرِيقِ؟
لَقَدْ كُنْتُ لِي بَرْدِي
كَيْفَ أَقْطِفُ مِنْ وَرْدِهِ
وَأَعْبُ الطَّلَى وَالْمُدَامَ
إِذَا كُنْتُ أَغْلَقْتُ دَرْبِي نَحْوَ الشَّامِ

.5

أَمَامِي أَنْتَظَرُ إِذَا لَيْسَ غَيْرُ
وَمَا مِنْ سَبِيلٍ سِوَى وَجَعِ الْإِنْتِظَارِ
يُضِيءُ لِقَلْبِي الْمَدَى
بِاحْتِمَالِ أَنْتِصَارِ
وَقَدْ يَحْمِلُ اللَّيْلُ لِلْقَلْبِ مَوْتَ الزُّؤَامِ
وَقَدْ يَحْزَنُ الْقَلْبُ لِكِنَّهِ لَنْ يَرَى

غَيْرِ نُوْرٍ تُوْهِجُ فِي أَضْلَعِي
مِثْلِ ضَوْءِ النَّهَارِ
وَعَيْنَيْنِ مَا زَالَتَا تُشْعِلَانِ الْمَدَى بِالْهَدَى
فَلَا خَوْفَ حَتَّىٰ وَإِنْ حَاصَرَتْهَا
جِيُوشُ الظَّلَامِ

- 6

لَأَنِّي هُزِمْتُ عَلَىٰ مَذْبَحِ الْعِشْقِ
حِينَ كَتَبْتُ لِسَيِّدَةِ الرُّوحِ أَلْفَ قَصِيدَةٍ
لَأَنِّي زَرَعْتُ حَقُولَ الْمَجَازَاتِ بِالْحُبِّ
كَيْ أَحْفَظَ الْأُمْنِيَّاتِ الرَّغِيدَةَ
لَأَنِّي لَسْتُ كَهَارُوتَ
يُخْرِجُ مِنْ بَحَّةِ النَّايِ عَطْرَ الْحَزَامِ
وَيَنْفُثُ فِي الْمَيْتِ رُوْحًا جَدِيدَةً
سَأَخْتَارُ تِلْكَ الْمَجْرَةَ

خَلْفَ النُّجُومِ البَعِيدَةِ
لِأَجْلِ حَيْثُ الكَوَاكِبِ مُثْقَلَةٌ بِالنَّدَى
وَأَهْمِسُ : "إِنِّي أَحِبُّ البَنْفَسَجَ" ،
فِي أُذُنِ الغَيْمِ ،
كَيْلَا يَعودُ الصدى
فَلَسْتُ أُرِيدُ لَهَا
أَنْ تَظَلَّ أُسِيرَةَ بَرَجِ الحَمَامِ
لَهَا أَنْ تُحَلِّقَ أَنِّي تَشَاءُ الغَوَايِهُ
وَأَنِّي تَقُودُ فِصُولَ الرِّوَايَةِ
وَإِنْ تَعَبْتُ مِنْ أَرِيزِ الحَيَاةِ
فَعِنْدِي ، إِذَا شَاءَ زَهْرُ البَنْفَسَجِ ،
مِسْكُ الحِتَامِ



تقاسيم على وتر الحب

(1)

إنه الحب

تلك المسافة بين الفراشة والنار
حين يحرقها شغف النشوة الراهنة

فاغترف شهده

ليس ثمّة وقت

لكي تتفرّس في لحظة طاعنه

قلبك الآن يلتاع من وله

فاحترق طائعاً

واتركُ الأُمْنِيَّاتِ الكَسُولَةَ لِلآخِرِينَ
لكي يَرْتُقُوا ثَوْبَ حِرْمَانِهِمْ
باحتِمَالِ الرُّؤْيِ الحَائِثَةِ

(2)

إِنَّهُ الحُبُّ

تسعى إليها ؛ إذ اعتصمتُ جبلاً
وانتشتُ فتنةً مثلَ وهجِ الرِّغيفِ
تنظفي رتاكُ
على طرفِ السِّفحِ مثلَ سِرِّيفِ
غيرَ أنكِ تنظري في شَغَفِ
نحو قَمَّتِهِ الفَاتِنَةِ

(3)

إِنَّهُ الْحُبُّ ..

رائحةُ الحُبِّ التي خَلَفَتْهَا الحَبِيبَةُ

بعدَ أَنْ أَفَلَّتْ يَدَهَا مِنْ يَدَيْكَ

إِنَّهُ نَشْوَةُ التَّيِّبِ

يَدْرِكُهَا الْمُتَصَوِّفُ فِي العِشْقِ

حِينَ يُصَلِّي عَلَيْكَ

تَنْتَشِي فِي النُّوَى بِهَدِيلِ الْيَمَامَةِ

أَوْ تَرْتَجِي مَاءَ ظِلِّ الغَمَامَةِ

رَغْمَ السَّرَابِ

إِنَّهُ أَجَلٌ فِي كِتَابِ

إِنَّهُ فَرَحُ الطِّفْلِ الغَافِيهِ

رَبِّمَا كُنْتَ يَوْمًا تَنَامُ عَلَى شَالِهَا

رَغْمَ بَرْدِ المَسَافَاتِ

وهي تنام على بيتٍ شعيرٍ
بلا قافية
ذلك الحُبُّ،
كالصيفِ
يجرسه هوسُ اللحظة الحاضرة
إنه السيفُ
حين يحنُّ إلى غمده
بعد معركةٍ خاسره

(4)

هكذا ترسمُ الحلمَ
من صورةٍ مشتهاةٍ
لظلِّ غزالتك الشاردهُ

فإذا راوغتُ حلمك العذبَ
شمسُ الصُّباحِ
سرتُ خلفها نبضاتكُ
واحدةً واحدةً

هكذا

يملاً الدهرُ وهجَ ضلوعك حزنًا
فيمحو أخضرارُ أصابعها دمعتينُ
حدقُ الآنَ حتى ترى بسمةً
في ارتعاشِ اليدينُ

(5)

إنه الحبُّ ..
صبارةُ الهجرِ ..
حين تخزُّ بأشواكها

وَرَدَّ ذَاكَ الْلِقَاءُ
إِنَّهُ رَجَعُ أَغْنِيَةِ الْأَرْضِ لِلَّهِ
قَبْلَ سَقُوطِ الْمَطْرِ
يَصْبِحُ اللَّيْلُ طَيْفَ حَبِيبٍ
وَضَوْءَ قَمَرٍ
يَعزفان على دفتري العشقِ
لحنَ شَجِيٍّ،
والنجومُ وترُ

(6)

إِنَّهُ الْحُبُّ، كَالْمَاءِ:
لَا لَوْنَ، لَا طَعْمَ، لَا رَائِحَةَ
رَبِّمَا نَشْتَهِيهِ
بِقَلْبِ مَدْمِي،

وعطرٍ تَقَطَّرَ من دَمْعَةٍ مَالِحَةٍ
عندَ بابِ الصَّبَا
يُخْتَفِي حزنٌ وَجْهَكَ
حينَ تَبَدَّدَهُ نَظْرَةٌ حَانِيَةً
يَكْتَسِي أَجْمَلَ البَسَمَاتِ
لكي تَقْرَأَ المِجْدَلِيَّةَ فِيهِ
مَلامِحَ ضَحِكِكَ الصَّافِيَةَ

(7)

إِنَّهُ الحُبُّ..
عصفورةٌ خَرَقَتْ،
في الجليلِ المحاصِرِ،
حَظَرَ التَّجَوُّلَ
رغمَ القِيودِ

رائحة الكعك في القدس
حين تحاصرها، دون جدوى،
حراب الجنود

(8)

إنه الحب
فاليوم خمرة وخمرة وخمرة
وفي الغد
نشرب نخب الحنين
إن عشقك أمر
إلى أبد العاشقين
إنه الحب..
أن تتهجأ رمل المنافي
ولا يتبقى من الأجدية

إلا كتابُ دمشق
ورائحةُ الياسمين

(9)

إنَّه الحُبُّ
أن تدعَ الرِّيحَ
تدفعُ أشرعةَ الخاتمه
بينما يحركُ العذبُ
يرسمُ عندَ شواطئه
أملَ الرحلةِ القادمة
لا تُعدُّ يا معنَى إلى دَفءِ بيتك
مِثْلَ اليمَامِ
ربِّما يحملُ القلبُ دمعَ الجدارِ
وحزنَ الأريكةِ والمزهريةِ

أغنيةً لا تنامُ

(10)

إنه الحبُّ

أن تبرعمَ وردتها في التهجدِ

ساريةً للبحار البعيدة

وَألا تعودَ إليك،

سوى فكرةٍ في قصيده



قصيدة الرّحيل

1-

جننتُ .. جننتِ .. جننا
دخلنا بلاداً مسورةً بدمِ العاشقين
ساعةً .. ساعتين .. ثلاثاً
وما كاد نبضُ الحياةِ يمرُّ من القلبِ
حتّى اعتراكِ ذهولٌ حزينٌ
أحقاً جننتِ؟
لماذا إذاً ترحلين؟
وإن كنتِ تنوينَ ذاكَ الرّحيلَ البعيدَ

إلى ضفّة العاقلين
تعالى إليّ لكي نجعل القُبَلاتِ الأخيرةَ
زوادةً للحنين

-2-

إذا كنتِ تنوينَ أن تحرمي
ضوءَ عينيّ رؤيةَ هذا الملاكِ الأمينِ
لماذا تجلّيتِ في خاطري وردة مائسه؟
لماذا احتوتنا شوارعُ معجونةً
بالجنون المتيمّ في السّاعة الخامسة؟
وصارت على وسعها
وهج طيف؟
لماذا تكونينَ حلماً قصيراً
كليلة صيف؟

لماذا جنت؟ وكيف؟
وكيف سأنسى أصابعَ محشوةً بالبنفسج
وهي تداعب وجهي الحزين؟

3

وأذكرُ ضحكَ المساءِ
يعيدُ إلى العُمُرِ ذاكرةً من ضياءِ
وأذكرُ همسَ الرصيفِ:
"تمهّل قليلاً"
ولا تؤذِ طيراً تكوّرُ بين أصابعها
خائفاً من يديكُ
ودعه يخرّبشُ حينَ يشاءُ
قصيدةً شعرٍ بدمعِ
تحدّرُ من مقلتيكُ

ومن نَزَفِ قَلْبِ
كواه اصفرارُ الحَريفِ
ولا تنسَ يا صاحبي
أن تَعْتَقَ خمرَ يديها
بماءِ النَزيْفِ

-4-

وأذكرُ أنا حلمنا
ورحنا وجئنا
ودرنا نمشطُ صمتَ المكانِ
وأذكرُ أن أصابعيَ النزقاتِ
استشاطت لهيباً
على سفحِ رابيةٍ لاهتهُ
وأذكرُ أنني راوغتُ فنتها

مرّةً .. مرّتين ..
وفي المرّة الثّالثه
رأيت ظلالاً من الرّعشه المشتهاة
تظللُ عينيكِ
آنستُ سحرَ البريقِ
تُرى ..
ما الذي سوفَ يهمني من الغيمِ
سُكراً
ومن سوفَ يُطفئُ وهجَ الحريقِ؟

-5

أأنسى؟
وماذا سأنسى؟
أأنسى نجوماً

يخبئها ليلٌ شعركِ
في حالكات السحابِ؟
تعجبتُ:
كيف ستحجبُ ضوءَ السماءِ
خيوطُ الضبابِ؟
فيا جدولاً من سناءِ
لماذا تدثرتِ بالغيمِ ذاكِ المساءِ؟
وتعلمُ أني أحبُّكَ
يا شجرَ الكستناءِ
وتعلمُ أني أحلمُ
أن يفرشَ الليلُ صدري
وأن يصبحَ الصدرُ
شطاً ومرسى
فكيف سأنسى؟

-6

وحيث دفنتِ بصدري لهاثكِ
قلتِ : أحبِّكَ
هل تذكرين؟
تراقصُ حزني هياماً
وجنَّ بلهفتهِ خافقٌ مستكينٌ
وحيث سمعتِ
صدى قلبي المتعبِ
يؤرجحُ أحلامَ طفلٍ صبي
ويسلبُ من نبضه حشراتِ الأنينِ
رميتِ ظلالَ الأسي
من يديَّ بعيداً
وأشعلتِ في حطبي
جدوةَ العاشقينِ

-7

وما زال ثلج يدي
يفكر كيف احترق
على غير وعد
أصابع لاهثة تحت جمر الحرير
تناجي الحبق
وأحسست أنا نعيش بقلب
يخلق في جسدين
وسرعان ما راعني
زمن غادر شدني
خارج الجنتين

-8

على حين مسغبة
ثورتي
أشعلت ثورة في ضلوع

تحاولُ ألا يكون اشتعالُ
تذوبُ على وهجِ فتنّتها
قبلةً هائمهُ
ثورتي أشعلتُ رغبةً صائمهُ
فراح لظى شفتين
يفتش عن شفتي
ويوغل في
ويزرع فوق الشفاهِ الحزينةِ
أفراحَ فلهُ
ورحتُ أخزنُ داخلَ ذاكرةِ الحزنِ
أجملَ قبلهُ
وعمري كلهُ
وأختلسُ اللحظاتِ التي عبرتُ عنوةً
من عذابِ السنينُ

ساعة.. ساعتين.. ثلاثاً
وما كاد نبض الحياة يمرُّ من القلبِ
حتّى اعتراكِ ذهولٌ حزينٌ
أحقاً جننتِ؟
لماذا إذاً ترحلين؟
وإن كنتِ تنوينَ ذاكِ الرّحيلَ البعيدَ
إلى ضفّةِ العاقلينِ
تعالِي إليّ لكي نجعلَ القُبلاتِ الأخيرةَ
زوادةً للحنينِ



امراة من نار

أحقاً رأيتك ما بين حلمٍ وحلمٍ
كرقة عينٍ
أحقاً سرى هدهد الروح
في ليلة التيه نحوي
أأضرت في صهيلاً خباً في رمادي
أأشعلت ناراً تلظى
هنا.. في فؤادي؟؟
أكنت، ترى، في دمي قمراً من لجين
أحقاً شممت شذى العنب الجبلي

يفوحُ من المقلتين؟؟
أكنتِ هنا
قبلَ أن يُعلنَ البرقُ ذاكَ الرّحيلَ
وما كدتُ أرشفُ من غيمتي قطرتين؟؟
أشعلتِ بردَ الدّجى لحظتين؟

رأيتكِ، في الفجرِ، تَهْمِينِ مِثْلَ القصيدِ
فوقَ جيبيني
رأيتُ ملاكينِ يستعطفانِ جنودَ السّماءِ
لكي يسمحوا أن تمرّني إلى شُرْفَةِ الحُلْمِ
كي تدخلني في جُفوني
وحين تجلّيتِ أغلقتُ تلكَ المسافةَ
بينني وبين جنوني
رأيتُ بلاداً من الفتنةِ المخمليّةِ:

عينين مثلُ ابتهاهِ الصَّلَاةِ
ونرجستين
تموءان بالرَّغْبَةِ النَّازِفِهِ
وشامةً حَسَنٍ هِنَا أَوْ هُنَاكَ
تَنَادِي،
فَتَشَعَلُ فِي صَدْرِي الْعَاصِفَهُ
أَقْطِفُ وَرَدًا مِنْ الْخَدِّ
أَمْ نَجْمَةً مِنْ سَنَابِلِ شَعْرِكَ
أَمْ أَتَنْسَمُ ظِلَّ عَبِيرٍ
تَنْدِي عَلَيَّ فِتْنَةَ الرَّقْبَةِ؟
أَأَرشِفُ مِنْ حُمْرَةِ الشَّهْدِ كَأَسَا
أَأَسْأَلُ عَنْ نُورِكَ الْمُتَحَجِّبِ:
مَنْ حَجَبَهُ؟
أَيَصْبِرُ عَنْ لَذَّةِ مَشْتَهَاةٍ لِسَانِي

وقد أشعلتُ فيه خمرْتُكَ السَّكرِيَّةُ،
يا ويلتي ، حَطَبَهُ؟؟

حببتي الآن في أوجِ غبَطِها البِكرِ
حتى أصابعُها تنتشي فتنةً واشتعالُ
أُتسمعُ وهجَ أصابعِها
إذ يقولُ : تعالُ؟
تُراكِ رأيتِ..
سمعتِ..
شممتِ..
أصابعَ من قبلُ
تجمعُ رائحةَ البنِّ والزَّعفرانِ
إلى نكهةِ البرتقالِ؟
تراكِ تذوقتِ من قبلُ شهداً،

يسيل كما النهر بين الأصابع
لوزاً وتيناً ووهجاً اشتعال
أندرك ما لا يقال
وأنت تقلب فتنتها في أتونك
بطناً وظهراً
وتملأ من عمرها الغض
خايبة القهر خمرا
وتقتات جمرا
فيغلب صمت الحصان الصهيل
ويقترب الحلم المستحيل
ويدفن هدهد بلقيس أسرارها
فيموت الكلام
وتدفن برد ضلوعك بين الرخام
لتوقظ في سدره المنتهى

عسلاً مُشتهى
وتختارُ بينَ اللَّطِي واللَّطِي
أن تنامُ

على حينِ غِرِّه
تحفُّ الملائكُ سَيِّدَةَ القلبِ
تأخذُها حيثُ جاءتُ
وتغلقُ باباً بوسعِ الخيالِ
وتفتحُ نافذةَ الصَّحوِ مرَّةً
أظللُّ وحيداً أفتشُ
وحدي بينَ الوسائدِ
عن كحلها ألفَ مرَّةً
وعن عطرها ألفَ مرَّةً
فأعيا..

ولا يتبقي ببالِ العناقيدِ
إلاَّ ظلالُ اشتهاٍ
وأضغاثُ حلمٍ
وحسره



المحتوى

5	اليوسفيات
23	جنازة أمي
35	ساعة أبي
45	امرأة من المخيم
52	قيامه اليرموك
66	قصيدة العطر
73	تناسخ
82	حاشية على كذبة نيسان!!
89	على سفر
103	بوخ دقلى
110	خطوط يدي
113	في انتظار ضفائرها
118	على فرس من كلام
125	تقاسيم على وتر الحب
135	قصيدة الرحيل
145	امرأة من نار

يوسف حطّيني

فلسطيني، من مواليد دمشق 1963 - حائز على شهادة الدكتوراه في النقد العربي الحديث من جامعة دمشق عام 1997 - محاضر في جامعة الإمارات العربية المتحدة - صدر له نحو ثلاثين كتاباً منها:

أ- في الدراسات:

- سميرة عزام: رائدة القصة القصيرة الفلسطينية، 1999.
- القصة القصيرة جداً بين النظرية والتطبيق، 2004.
- القصة القصيرة الإماراتية، دائرة الإعلام والثقافة، الشارقة، 2008.
- ملامح السرد القرآني، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2009.
- مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999.

- في سردية القصيدة الحكائية (محمود درويش نموذجاً)، الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، 2010.
- عبد الرحيم محمود: فارس الوطن.. فارس القصيدة، مؤسسة فلسطين للثقافة، 2011.
- القدس في الشعر العربي الحديث، مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق، 2012.
- دراسات في القصة القصيرة جداً، منشورات المهرجان العربي الثالث للقصة القصيرة جداً، مطابع الرباط نت - المغرب، 2014.
- السرد العماني الروائي الحديث دار الغشّام، مسقط، 2017.
- في ظلال النخيل (دراسات في الرواية الإماراتية)، دائرة الإعلام والثقافة، الشارقة، 2017.
- مصطلحات السرد في النقد الأدبي، عالم الكتب الحديث، عمان، 2018.

ب - في الإبداع

- ذماء (قصص قصيرة جداً)، 2001.
- مدينة البامياء (مجموعة قصصية) 2001.

- الحفار والغربة ، مونودراما مسرحية ، 2007.
- الطريق إلى مخبز شبارو (مجموعة قصصية) ، 2008.
- مقامات طريد الزمان الطبراني ، مقامات ، 2010.
- جمل المحامل (مئة قصة فلسطينية قصيرة جداً) ، دار الوطن ، الرباط ، 2014.
- نجمة في سماء الجليل ، قصائد قصيرة جداً ، 2018.
- بنفسجة في سحابة ، قصائد قصيرة جداً ، 2018.
- رجل المرأة ، رواية ، 2020.



اليوسفيات وقصائد أخرى/ يوسف حطيني. - دمشق: اتحاد
الكتاب العرب، 2020. - 156ص؛ 20سم. - (سلسلة
الشعر؛ 4).

1 - 811.9564 ح ط ي ي 2 - العنوان 3 - حطيني
4 - السلسلة
مكتبة الأسد